صوت الدعاة
WWW.DOAAH.COM
رئيس التحرير
د/ أحمد رمضان
مدير الجريدة
أ/ محمد القطاوى

خطبة الجمعة القادمة
وزارة الأوقاف المصرية

خُطْبَةٌ بِعُنْوَانِ: التَّعَاوُنُ فِي بِنَاءِ الإِنْسَانِ الْقَوِيِّ، وَالْمُبْدِعِ الَّذِي يَنْتَمِي لِوَطَنِهِ.

(الاِتحاد قوة)

بتاريخ 23 محرم 1447هـ 18 يوليو 2025م

فِي عالَمٍ يَتَّسِمُ بالتَّحدِّيَاتِ المُتَزَايِدَةِ والتَّغَيُّرَاتِ المُتَسَارِعَةِ، يَبْقَى مَبْدَأُ «الاِتِّحَادُ قُوَّةٌ» رَكِيزَةً أَسَاسِيَّةً لِبِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُزْدَهِرَةِ وَالْأَوْطَانِ الْقَوِيَّةِ. وَهٰذَا الْمَبْدَأُ لَيْسَ مُجَرَّدَ شِعَارٍ يُرَدَّدُ، بَلْ هُوَ فَلْسَفَةُ حَيَاةٍ عَمِيقَةٍ، وَمَنْهَجُ عَمَلٍ يُرَسِّخُ دَعَائِمَ التَّمَاسُكِ وَالِازْدِهَارِ. فَمِنْ خِلَالِ الاِتِّحَادِ وَالتَّعَاوُنِ، لَا يُمْكِنُنَا فَقَطْ مُوَاجَهَةُ الصِّعَابِ، بَلْ نَسْتَطِيعُ أَيْضًا بِنَاءَ إِنْسَانٍ قَوِيٍّ، مُبْدِعٍ، يَنْتَمِي لِوَطَنِهِ بِصِدْقٍ وَعُمْقٍ، مُتَّخِذًا مِنْ تَعَالِيمِ دِينِنَا الْحَنِيفِ مِنْهَاجًا، وَمِنْ تَارِيخِنَا الْعَرِيقِ قُدْوَةً.

وَسَيَكْشِفُ هٰذَا الْمَقَالُ كَيْفَ يُشَكِّلُ التَّعَاوُنُ شِرْيَانَ الْحَيَاةِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا، وَيُسْهِمُ فِي صِنَاعَةِ الْأَفْرَادِ الْمُبْدِعِينَ، وَكَيْفَ تُغْرَسُ جُذُورُ الِانْتِمَاءِ الْحَقِيقِيِّ لِلْوَطَنِ مِنْ خِلَالِ هٰذَا التَّكَاتُفِ الْمُبَارَكِ.

العناصر:

الاِتِّحَادُ جِسْرُ النَّجَاةِ وَسِرُّ الْبَقَاءِ وَالرُّقِيِّ

التَّعَاوُنُ نَبْضُ الْمُجْتَمَعِ، وَمَعِينُ الْبِنَاءِ الْإِنْسَانِيِّ

الْقُوَّةُ وَالْإِبْدَاعُ تُصَاغُ فِي رِحَابِ التَّوَاصُلِ وَالتَّضَامُنِ

فِي دِينِنَا وَحْدَتُنَا، وَفِي تَوَحُّدِ كَلِمَتِنَا نَصْرُنَا

الِانْتِمَاءُ لِلْأَوْطَانِ.. أَصْلُ الْوَلَاءِ وَنَبْضُ الْعَطَاءِ

خَاتِمَةٌ: نَحْنُ بِالِاتِّحَادِ نَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ وَنَصْنَعُ الْمَجْدَ

الِاتِّحَادُ جِسْرُ النَّجَاةِ وَسِرُّ الْبَقَاءِ وَالرُّقِيِّ

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْبَشَرَ جَمِيعًا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَكْرَمَهُم بِالْعَقْلِ وَالتَّكْلِيفِ، وَدَعَاهُم إِلَى التَّوَاصُلِ وَالتَّرَاحُمِ، وَنَهَاهُم عَنِ التَّنَازُعِ وَالِافْتِرَاقِ؛ فَمَعْنَى الِاتِّحَادِ وَالتَّعَاوُنِ مَغْرُوسٌ فِي أَصْلِ الْخِلْقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَفِطْرَتِهَا النَّقِيَّةِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النِّسَاء: ١].

وَمَنْ يَتَدَبَّرُ حَالَ الْعَرَبِ قَبْلَ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ، يُدْرِكْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَشْتَاتًا، لَا يَعْرِفُونَ نِظَامَ دَوْلَةٍ، وَلَا سُلْطَانَ قَانُونٍ، وَلَا وُجْهَةً تَجْمَعُهُمْ؛ كَانُوا قَبَائِلَ مُتَفَرِّقَةً، تَمْتَصُّهَا الْعَصَبِيَّةُ، وَتَسْتَنْزِفُهَا الْحُرُوبُ، وَتُسَيِّرُهَا الْأَهْوَاءُ، لَا رَابِطَةَ تُوَحِّدُهُمْ، وَلَا قِيَمَةَ تُلْزِمُهُمْ، حَتَّى أَرَادَ اللهُ بِهِمُ الْخَيْرَ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ جَوْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَبَعَثَ فِيهِمْ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، فَجَعَلَ مِنْهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، لَا يَحُدُّهَا جِنْسٌ، وَلَا لَوْنٌ، وَلَا قَبِيلَةٌ؛ بَلْ تَجْمَعُهَا الْعَقِيدَةُ، وَتَرْبِطُهَا الْأُخُوَّةُ، وَتَرْتَقِي بِهَا رَابِطَةُ الْإِيمَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ٩٢].

وَقَدْ أَصَّلَ النَّبِيُّ ﷺ لِهَذِهِ الْقِيمَةِ الْعُلْيَا فِي أَعْمَاقِ الْوَعْيِ الْإِسْلَامِيِّ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ الْجَامِعِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى» [حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ].

فَأَرَادَ الْإِسْلَامُ أَنْ يُؤَسِّسَ الْوَحْدَةَ عَلَى أَصْلٍ ثَابِتٍ، هُوَ الدِّينُ، لَا النَّسَبُ وَلَا الْعِرْقُ؛ فَوَحَّدَتْهُمُ الصَّلَاةُ، وَجَمَعَتْهُمُ الْقِبْلَةُ، وَغَرَسَ فِيهِمْ مَعَانِي الْمُؤَاخَاةِ وَالْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ. قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الْحُجُرَات: ١٠].

وَمَا كَانَتْ هٰذِهِ الْأُخُوَّةُ فِي الْإِسْلَامِ حُرُوفًا تُكْتَبُ، أَوْ خُطَبًا تُلْقَى؛ بَلْ تَجَسَّدَتْ فِي مَشَاهِدِ الْوَاقِعِ، وَتَجَلَّتْ فِي أَسْمَى صُوَرِ التَّطْبِيقِ، فَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

فَالِاتِّحَادُ - بِلَا شَكٍّ - لَيْسَ خَيَارًا تَكْمِيلِيًّا، وَلَا فِكْرًا نَظَرِيًّا؛ بَلْ هُوَ فَرِيضَةٌ دِينِيَّةٌ، وَسِرُّ الْبَقَاءِ، وَسَبِيلُ النُّصْرَةِ وَالْعِزَّةِ لِلْأُمَمِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ.

التَّعَاوُنُ نَبْضُ الْمُجْتَمَعِ، وَمَعِينُ الْبِنَاءِ الْإِنْسَانِيِّ

إِنَّ الْإِنْسَانَ بِفِطْرَتِهِ كَائِنٌ اجْتِمَاعِيٌّ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ مُنْفَرِدًا عَنِ النَّاسِ، وَتَظْهَرُ عَظَمَةُ التَّعَاوُنِ فِي أَنَّهُ يُضَاعِفُ الْجُهُودَ، وَيُؤَدِّي إِلَى نَتَائِجَ أَعْظَمَ مِمَّا يُمْكِنُ لِلْفَرْدِ أَنْ يُحَقِّقَهَا وَحْدَهُ. فَإِذَا تَكَاتَفَتِ الْأَيَادِي، وَتَآلَفَتِ الْعُقُولُ، تَحَوَّلَتِ الْأَحْلَامُ إِلَى حَقِيقَةٍ، وَصَارَتِ الْأَهْدَافُ الْكَبِيرَةُ فِي الْمُتَنَاوَلِ.

وَإِنَّ التَّعَاوُنَ هُوَ النَّبْضُ الَّذِي يُحْيِي جَسَدَ الْمُجْتَمَعِ، وَيَضُخُّ فِيهِ دِمَاءَ الْإِبْدَاعِ وَالِابْتِكَارِ، وَفِي ظِلِّهِ يَتَعَلَّمُ الْإِنْسَانُ كَيْفَ يُصْغِي لِلْآخَرِ، وَيَتَقَبَّلَ رَأْيَهُ، وَيُقَدِّرَ قِيمَةَ التَّنَوُّعِ؛ وَهٰذَا مِمَّا يُثْرِي التَّجْرِبَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَيَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ الْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ.

وَقَدْ حَثَّتْ شَرِيعَتُنَا الْغَرَّاءُ عَلَى التَّعَاوُنِ، وَجَعَلَتْهُ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [الْمَائِدَة: ٢].

فَهٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ جَاءَتْ كَدُسْتُورٍ جَامِعٍ لِمَصَالِحِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَكُلُّ تَعَاوُنٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَفِيمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ، وَهٰذَا هُوَ جَوْهَرُ "الْبِرِّ وَالتَّقْوَى."

وَفِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَأْكِيدٌ لِهٰذَا الْمَعْنَى؛ فَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ بِالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَقَالَ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ

وَالْحُمَّى» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَهٰذَا التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ يُبَيِّنُ عِظَمَ التَّرَابُطِ وَالتَّكَافُلِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسُودَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ جُزْءٌ لا يَتَجَزَّأُ مِنَ الْكُلِّ، يَتَأَثَّرُ لِأَلَمِهِ، وَيُسَاهِمُ فِي قُوَّتِهِ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

فَلْنَكُنْ كَمَا أَرَادَ لَنَا رَبُّنَا، وَأَرْشَدَنَا إِلَيْهِ نَبِيُّنَا ﷺ: أُمَّةً وَاحِدَةً، تَتَضَامَنُ فِي الْمِحَنِ، وَتَتَعَاوَنُ عَلَى الْخَيْرِ، وَتَسِيرُ نَحْوَ رِضْوَانِ اللَّهِ بِثِقَةٍ وَأَمَلٍ لَا يَنْكَسِرُ.

الْقُوَّةُ وَالْإِبْدَاعُ تُصَاغُ فِي رَحَابِ التَّوَاصُلِ وَالتَّضَامُنِ

إِنَّ التَّعَاوُنَ لَيْسَ مُجَرَّدَ وَسِيلَةٍ لِإِنْجَازِ الْمَهَامِّ، بَلْ هُوَ بِيئَةٌ خَصْبَةٌ لِبِنَاءِ الْإِنْسَانِ الْمُتَكَامِلِ، ذَاكَ الَّذِي يَحْمِلُ الْوَطَنَ فِي قَلْبِهِ، وَيَجْسِدُهُ فِي عَمَلِهِ. فَعِنْدَمَا يُشَارِكُ الْفَرْدُ فِي الْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ، فَإِنَّهُ لَا يَكْتَسِبُ مَهَارَاتٍ جَدِيدَةً فَقَطْ، بَلْ تَتَشَكَّلُ فِي نَفْسِهِ شَخْصِيَّةٌ أَقْوَى، وَأَكْثَرُ نُضْجًا، يَتَعَلَّمُ كَيْفَ يُسْهِمُ بِفَاعِلِيَّةٍ، وَكَيْفَ تُصْبِحُ جُهُودُهُ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ نَجَاحٍ أَكْبَرَ، يَخْدِمُ الْمَصْلَحَةَ الْعَامَّةَ لِلْوَطَنِ.

وَفِي ظِلِّ هٰذَا التَّفَاعُلِ الْمُسْتَمِرِّ ضِمْنَ إِطَارِ الِاتِّحَادِ، تَنْبُتُ الْمَهَارَاتُ الْحَيَاتِيَّةُ الْأَسَاسِيَّةُ، كَقُدْرَةِ حَلِّ الْمُشْكِلَاتِ الْمُعَقَّدَةِ الَّتِي تُوَاجِهُ الْوَطَنَ؛ فَالْعُقُولُ الْمُتَعَدِّدَةُ تَعْمَلُ بِتَنَاغُمٍ؛ لِإِيجَادِ حُلُولٍ مُبْتَكَرَةٍ، وَيَتَعَزَّزُ التَّفْكِيرُ النَّقْدِيُّ مِنْ خِلَالِ النِّقَاشِ الْبَنَّاءِ، وَتَبَادُلِ وَجْهَاتِ النَّظَرِ، مِمَّا يُمَكِّنُ الْأَفْرَادَ مِنْ فَهْمِ تَحَدِّيَاتِ الْوَطَنِ بِعُمْقٍ، وَابْتِكَارِ طُرُقٍ لِلتَّغَلُّبِ عَلَيْهَا.

وَفِي هٰذِهِ الْبِيئَةِ التَّعَاوُنِيَّةِ، تُوقَدُ شُرَارَةُ الْإِبْدَاعِ؛ فَإِنَّ الْأَفْكَارَ الْمُبْتَكَرَةَ غَالِبًا مَا تُوْلَدُ فِي رَحَابِ نِقَاشَاتٍ جَمَاعِيَّةٍ، وَتَبَادُلِ خِبْرَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، تَصُبُّ كُلُّهَا فِي سَبِيلِ رِفْعَةِ الْوَطَنِ. وَإِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يُسْهِمُ فِي إِنْجَازَاتٍ جَمَاعِيَّةٍ، يَشْعُرُ بِالثِّقَةِ، وَبِالْقِيمَةِ فِي نَسِيجِ الْمُجْتَمَعِ، وَتَتَزَايَدُ فِيهِ الْقُدْرَةُ عَلَى الْعَطَاءِ الْمُسْتَمِرِّ لِوَطَنِهِ، وَيُصْبِحُ أَكْثَرَ اسْتِعْدَادًا لِلتَّضْحِيَةِ فِي سَبِيلِ ازْدِهَارِهِ.

فَهٰذَا التَّكَاتُفُ لَا يُنْتِجُ فَقَطْ أَفْرَادًا أَقْوِيَاءَ، وَمُبْدِعِينَ، بَلْ يُشَكِّلُ حِصْنًا مَنِيعًا لِلْوَطَنِ، يُجَسِّدُ قُوَّتَهُ فِي تَلَاحُمِ أَبْنَائِهِ، وَرُوحِهِمُ الْإِبْدَاعِيَّةِ الْمُتَفَانِيَةِ.

فِي دِينِنَا وَحْدَتُنَا، وَفِي تَوَحُّدِ كَلِمَتِنَا نَصْرُنَا

إِنَّ مَا تُقَدِّمُهُ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ مِنْ تَأْصِيلٍ لِمَبْدَإِ الِاتِّحَادِ وَالتَّعَاوُنِ، لَيُؤَكِّدُ بِوُضُوحٍ أَنَّ هٰذِهِ الْقِيَمَ لَيْسَتْ خِيَارَاتٍ ثَانَوِيَّةً، وَلَا مُجَرَّدَ أَفْكَارٍ مَطْرُوحَةٍ، بَلْ هِيَ ضَرُورَاتٌ حَتْمِيَّةٌ لِبِنَاءِ مُجْتَمَعٍ قَوِيٍّ، مُتَمَاسِكٍ، وَإِنْسَانٍ مُبْدِعٍ، مُنْتَمٍ لِوَطَنِهِ. فَبِالِاتِّحَادِ نَصْمُدُ فِي وَجْهِ التَّحَدِّيَاتِ، وَبِالتَّعَاوُنِ نُحَقِّقُ الْإِنْجَازَاتِ، وَبِالْوَلَاءِ وَالِانْتِمَاءِ نَصُونُ هُوِيَّتَنَا، وَنَرْفَعُ شَأْنَ أَوْطَانِنَا.

وَلِذٰلِكَ، فَإِنَّ الْعِبَادَاتِ الْجَمَاعِيَّةَ تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ أَدَوَاتِ التَّوْحِيدِ وَالِاتِّحَادِ؛ فَالصَّلَاةُ، وَالْحَجُّ، وَالصِّيَامُ، كُلُّهَا تَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى طَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتُرَبِّيهِمْ عَلَى النِّظَامِ، وَوَحْدَةِ الصَّفِّ، فَهُمْ يَقِفُونَ صَفًّا وَاحِدًا، يَخْشَعُونَ لِرَبٍّ وَاحِدٍ، فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ.

وَلَمَّا فَهِمَ الْمُسْلِمُونَ سِرَّ قُوَّتِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِوَحْدَتِهِمْ، انْتَصَرُوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَذٰلِكَ فِي غَزَوَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَانَ فِيهَا الِاتِّحَادُ هُوَ سَبَبَ النَّجَاحِ. وَفِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، لَمَّا خَالَفَ الرُّمَاةُ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَقَعَ الْخِلَافُ، وَانْفَصَمَ الصَّفُّ، كَانَتِ النَّتِيجَةُ هَزِيمَةً مُؤْلِمَةً.

وَكَذٰلِكَ فِي الْأَنْدَلُسِ، لَمَّا تَفَكَّكَتِ الْوَحْدَةُ، وَتَحَوَّلَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى دُوَيْلَاتٍ مُتَنَازِعَةٍ، تَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ، وَضَاعَتْ حَضَارَتُهُمْ. فَالْعِبْرَةُ أَنَّ الْوَحْدَةَ سَبِيلُ الْبَقَاءِ، وَأَنَّ الِانْقِسَامَ سَبِيلُ الزَّوَالِ.

الِانْتِمَاءُ لِلْأَوْطَانِ.. أَصْلُ الْوَلَاءِ وَنَبْضُ الْعَطَاءِ

إِنَّ أَسْمَى مَا يَبْلُغُهُ الْإِنْسَانُ فِي مَسِيرَةِ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَامُلِ، هُوَ ذٰلِكَ الشُّعُورُ الرَّاسِخُ بِالِانْتِمَاءِ لِلْوَطَنِ، وَالَّذِي لَيْسَ مُجَرَّدَ عَاطِفَةٍ عَابِرَةٍ، بَلْ هُوَ وَلَاءٌ عَمِيقٌ، يَنْبُثِقُ مِنَ الْإِيمَانِ

بِقِيَمِ الْوَطَنِ، وَمُقَدَّرَاتِهِ، وَتَارِيخِهِ، وَرُؤْيَتِهِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ. إِنَّهُ تَجَلٍّ نَبِيلٌ لِمَعَانِي الْمُواطَنَةِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي لَا تَنْظُرُ إِلَى الْوَطَنِ مِنْ مِنْظَارِ الرِّبْحِ وَالْخُسْرَانِ، بَلْ تَتَعَامَلُ مَعَهُ بِمِنْطِقِ الْحُبِّ، وَالْإِيثَارِ، وَالْعَطَاءِ الْمُطْلَقِ غَيْرِ الْمَشْرُوطِ.

**وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ فِي الْحُبِّ الْوَطَنِيِّ وَالِانْتِمَاءِ الصَّادِقِ، فَعِنْدَمَا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، الْتَفَتَ إِلَيْهَا، يُخَاطِبُهَا بِقَلْبٍ يَفِيضُ أَلَمًا وَحَنِينًا، فَقَالَ: »إِنَّكِ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ] «رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.[فَهٰذَا الْمَوْقِفُ يُبَيِّنُ عِظَمَ قَدْرِ الْوَطَنِ فِي نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَيْفَ أَنَّ فِقْدَانَهُ يَعْدِلُ أَعْظَمَ الْمِحَنِ.

وَإِنَّ هٰذَا الِانْتِمَاءَ لَا يُولَدُ فِطْرَةً فَقَطْ، بَلْ يُغْرَسُ وَيُرَبَّى عَلَيْهِ، وَيُعَزَّزُ بِوَاسِطَةِ الْمُؤَسَّسَاتِ التَّرْبَوِيَّةِ، بَدْءًا بِالْأُسْرَةِ الَّتِي هِيَ الْحَاضِنَةُ الْأُولَى، وَمُرُورًا بِالْمَدَارِسِ الَّتِي تُشَكِّلُ وَعْيَ النَّاشِئَةِ، وَوُصُولًا إِلَى الْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، الَّتِي تُنَمِّي فِي الْفَرْدِ رُوحَ الْمُوَاطَنَةِ. وَتَتَحَمَّلُ هٰذِهِ الْمُؤَسَّسَاتُ مَسْؤُولِيَّةَ غَرْسِ قِيَمِ التَّعَاوُنِ، وَالتَّكَافُلِ، وَالْإِيثَارِ، وَاحْتِرَامِ النِّظَامِ، وَحِفْظِ الْحُقُوقِ، وَتَقْدِيمِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الْخَاصَّةِ.

فَإِذَا شَارَكَ الْفَرْدُ بِفَاعِلِيَّةٍ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَأَسْهَمَ فِي تَحْقِيقِ أَمْنِهِ وَازْدِهَارِهِ، تَرَسَّخَ فِي نَفْسِهِ الْوَلَاءُ الْحَقِيقِيُّ، وَنَمَا فِيهِ شُعُورٌ بِالْفَخْرِ وَالِاعْتِزَازِ، وَصَارَ أَكْثَرَ اسْتِعْدَادًا لِلتَّضْحِيَةِ فِي سَبِيلِ عِزَّةِ وَطَنِهِ وَرِفْعَتِهِ.

خَاتِمَةٌ: نَحْنُ بِالِاتِّحَادِ نَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ وَنَصْنَعُ الْمَجْدَ

لَقَدْ عَلَّمَنَا الْإِسْلَامُ أَنَّ الِاتِّحَادَ لَيْسَ خِيَارًا تَكْتِيكِيًّا نَلْجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْأَزَمَاتِ، بَلْ هُوَ أَصْلٌ أَصِيلٌ مِنْ أُصُولِ هٰذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، وَمَبْدَأٌ قَامَتْ عَلَيْهِ نَوَاةُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُولَى فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ. فَبِالِاتِّحَادِ تُصَانُ الْأَوْطَانُ، وَتُبْنَى الْحَضَارَاتُ، وَتُحْفَظُ الْكَرَامَاتُ.

وَمَا أَحْوَجَنَا فِي زَمَنٍ تَفَكَّكَتْ فِيهِ الْكَلِمَةُ، وَتَمَزَّقَتْ فِيهِ الْأَوْطَانُ، وَتَكَالَبَ فِيهِ الْأَعْدَاءُ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، إِلَى أَنْ نُحْيِيَ فِي قُلُوبِنَا رُوحَ الْأُخُوَّةِ، وَنُعِيدَ إِلَى الْوَاقِعِ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ، وَنَجْعَلَ مِنَ الِاتِّحَادِ دِرْعًا يَحْمِينَا، وَسِرَاجًا يَهْدِينَا، وَسُلَّمًا نَرْتَقِي بِهِ نَحْوَ الْعِزَّةِ وَالِازْدِهَارِ.

فَلْنَسْعَ جَمِيعًا إِلَى تَعْزِيزِ هٰذِهِ الْقِيَمِ الْمُبَارَكَةِ، وَلْنَتَكَاتَفْ؛ لِنَبْنِيَ مُسْتَقْبَلًا مُشْرِقًا لِأَوْطَانِنَا، مُسْتَلْهِمِينَ مِنْ تَعَالِيمِ دِينِنَا الْحَنِيفِ مَا يُقَوِّي عَزِيمَتَنَا، وَيُضِيءُ دُرُوبَنَا، وَلْنَكُنْ كَمَا أَرَادَنَا اللَّهُ: أُمَّةً وَاحِدَةً، يَدُهَا بِيَدِ بَعْضِهَا، وَقُلُوبُهَا مُتَآلِفَةٌ، وَدِينُهَا وَاحِدٌ، تَسِيرُ إِلَى رِضْوَانِ رَبِّهَا بِخُطًى ثَابِتَةٍ، وَأَمَلٍ لَا يَنْكَسِرُ.